العقل بين التراث والحداثة وصراع المناهج
في فكر محمد سبيلا

أ.م.د. حسنين جابر الحلو
مركز دراسات الكوفة

البريد الإلكتروني Email : hasanein.alhilo@uokufa.edu.iq

الكلمات المفتاحية: العقل ، التراث ، الحداثة ، المناهج ، محمد سبيلا.

كيفية اقتباس البحث

الحلو ، حسنين جابر، العقل بين التراث والحداثة وصراع المناهج في فكر محمد سبيلا، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٣ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The mind between heritage and modernity and the conflict of curricula In Muhammad Sabila, there is a way

A.M.D. Hassanein Jaber Al-Helou
Kufa Studies Center

Keywords : Mind, heritage, modernity, curricula, Muhammad Sabeela.

How To Cite This Article
Al-Helou, Hassanein Jaber, The mind between heritage and modernity and the conflict of curricula In Muhammad Sabila, there is a way, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2024,Volume:14,Issue 3.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

" Muhammad Sabila" employs for us the categories of the modern mind in its evolutionary aspect, working to find a scientific and realistic way out of the wide transitions taking place in the global astronomy in the public space, by assembling the generational mentality from a stereotypical mentality and transferring it to a more analytical mentality that can go beyond the familiar and conventional, In an elitist language that makes the intellectual able to convey his verbal message to the recipient, then the strategic perspective of dealing according to political, social and intellectual propositions, which is the main entrance to shaping our central issues. Because modernity for him is the possibility of learning, even though entry came from the political and economic gate before the cultural one. The industrial revolution is boldness in formulating general concepts for the recipient in all its representations, linking that with the priorities of modernization and democracy for the transition to liberation, and his language carried several interpretations on the modernist and modernist side. With its various divisions, and the ongoing conflict between tradition and modernity, it will be long and

boring. However, we must fall into modernity despite the individual and collective challenges and obstacles. Because heritage cannot repel the wave of modernity and its accelerating movement that has entered even into the values, sociology, and psychology aspects. Moreover, heritage has also remained a fierce defender and critic of modernity and its perceptions.

The objective alternative, in light of all this, is systematic investigation and analysis, transcending the language of argument, and liberating the mind so that it has effective dialogue and mental techniques that enable it to transcend and balance the prevailing and restrictive reactions of the mind, even on the Western side itself, which generated several opinions among Westerners and Arabs to try to produce a language. A mentality that keeps pace with modernity and is accepted in its Arab orbit after multiple struggles. This culture was later gradually transformed into a defense that justifies cases of decline and provides compensatory alternatives that replace existing ideals. Therefore, the language of rationalization became appropriate to the theories of modern science in all fields, despite the presence of rejectionist statements. And overtaking is a crisis in itself.

الملخص :

يوظف لنا " محمد سبيلا " مقولات العقل الحداثي في جانبه التطوري العامل على إيجاد مخرج علمي وواقعي عما يدور في الفلك العالمي من انتقالات واسعة في الفضاء العمومي ، من خلال تركيب العقلية الجيلية من عقلية نمطية ونقلها الى عقلية اكثر تحليلاً ، تستطيع مجاوزة المألوف والمتعارف عليه ، بلغة نخبوية تجعل المثقف قادر على إيصال لحمته الكلامية الى المتلقي ، بعدّها المنظور الاستراتيجي للتعامل وفق الطروحات السياسية والاجتماعية والفكرية ، وهي المدخل الرئيس لتشكيل قضايانا المركزية ؛ لان الحداثة لديه ممكنة التعلم ، على الرغم من أن الدخول جاء من البوابة السياسية والاقتصادية قبل الثقافية ، فالثورة الصناعية هي جرأة في صياغة المفاهيم العمومية للمتلقي بكل تمثلاته ، رابطاً ذلك مع اوليات التحديث والديمقراطية للانتقال الى التحرر ، ولغته كانت تحمل عدة تأويلات في الجانب التحديثي والحداثي وبقسماتها المختلفة ، والصراع الدائر والقائم بين التقليد والحداثة سيكون طويلاً ومملاً ؛ الا انه لابد من الوقوع في الحداثة على الرغم من التحديات والعوائق الفردية والجماعية ؛ لان التراث لا يمكنه صد موجة الحداثة وحركتها المتسارعة التي دخلت حتى في الجانب القيمي والسيسيولوجي والسيكولوجي ، لا ان التراث ظل مدافعاً شرساً أيضاً ومنتقداً للحداثة وتصوراتها .

والبديل الموضوعي في ظل كل هذا ، هو التقصي والتحليل المنهجي والتعالي على لغة الجدال ، وتحرير العقل ليكون له فعالية حوارية وتقنيات ذهنية تمكنه من المجاوزة ، وموازنة ردود الفعل السائدة والمقيدة للعقل حتى في الجانب الغربي ذاته ، مما ولد عدة اراء عند الغربين والعرب لمحاولة انتاج لغة عقلية تساير الحداثة وتكون مقبولة في مدارها العربي بعد مخاضات متعددة ، وحولت فيما بعد هذه الثقافة بالتدريج الى دفاع تبرر حالات التراجع ، وتعطي بدائل تعويضية تستبدل لا مثلته الموجودة ، لذلك جاءت لغة العقلنة ملائمة لنظريات العلم الحديث في المجالات كافة ، على الرغم من وجود مقولات الرفض والتجاوز ، وهي ازمة بحد ذاتها .

المقدمة :

الحفريات المعرفية تقتصر في تصورات الكتّاب في شأن الفكر العربي المعاصر على الجانب التراثي ، فتثير الأسئلة والجدليات بين كل هذه المناطق الفكرية لتبين أن هناك ثمة إشكالية او كما يسميه بعضهم سلبية او تراجع او غير ذلك ، على الرغم من أن الحفريات يجب أن تكون علمية وقائمة على فرضيات واضحة .

وعندما ندخل في مسألة العقل بين التراث والحداثة ، نجد العقل يغوص في أمواج متلاطمة من التحديات والتغيرات والرجالات بين العقل والنقل واستيفاء الشروط الممكنة في اظهار ايهما أقرب الى الواقع ، لاسيما أن العالم المعاصر يعيش في موجة حداثية وما بعدها بعصر التقدم العلمي والتكنلوجي ، فهل يصمد العقل التراثي أمام هذه التحديات العالمية ، ام يستطيع تجاوزها؟

أن قيمة الاعتقاد المبني على المنظومة القيمية ، ولد عندنا مبدأ وعقيدة وثبات في بعض الجوانب ، ولكنه يعيش في دوامة الحيرة بسبب الوافد وتعارضه مع القيم وترابطها بين العقل والنقل ، وطرح مسميات الخرافة والاسطورة في جانب التصديق من عدمه ، وهذا ديدن المشتغلين في منطقة البؤر القلقة المنادية بالخروج والثورة حتى على العقل نفسه .

وانتصار بعضهم الى مقولة العقل هو العالم ، أو بعبارة ان العقل يفهم العالم ، يضع المجال الثقافي في محنة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب ، وصناعة حد فاصل بينهما ، افضل من الاندماج ، وتضييع الفرض الاجتماعي القائل بالدين والعادات والتقاليد ، ورسم ملامح العقل العربي ليكون مستقل عن الفرض الغربي ، باستطاعته تكوين حلقات تكّون وفهم لما يجري من متغيرات .

قد يكون لمحور السوابق التاريخية مقولة استعراضية مناهجية تعمّق التداخل الضمني ، بإيجاد تغيير داخلي كفيل بصناعة مناهج تغيرية من الداخل ، تفرض قوتها كمنهج تأخذ به الأجيال القادمة ، على الرغم من وجود عدة اتجاهات وافاق تنادي بالتحرر الداخلي ، وتكوين

دوائر منهجية فارضة ذاتها حتى على المحيط الخارجي ، بظهور عدة استعمارات تريد بصورة او بأخرى تهديم البناء او حتى إعادة بنائه بطريقته الخارجية .

وعمل " محمد سبيلا " وهو مدار بحثنا على الاختيار التحديثي بعد موجة التحديات والرهانات الصادمة للواقع العربي ، وارجع هذا الامر الى النخب المثقفة للتعامل مع الديمقراطية من المنظور الحداثي ، والانتقال بالوعي من مرحلة التنظير والتحليل الى مرحلة التفكير ، وهو وعي ثقافي داخلي ووطني يحتاج الى عقد موازنات لتخطي حاجز التطرف والحمولات التاريخية ؛ لان التقدم والتطور لا يتحقق عن طريق البقاء في غياهب الماضي ، اذ لابد من الفحص والتمحيص ليتسنى لنا مجاوزة الاستعمار الجديد وخرائطه الايدلوجية المختلفة .

واشتغل " سبيلا " باشتغالات العقل بعده العنصر الثالث من المنظومة الفكرية للحداثة بعد العقل له السبق في التعامل مع الاحداث ، ورفض العواطف والانفعالات والجانب الأسطوري المكون لحالاته ، رافضاً القراءات السطحية والبؤرية ، والتي تحقق الالتباس البائن ؛ بينما الحداثة تحتاج الى المحور الزمكاني في فترته المرجعية والفكرية الفلسفية ، ونقد بدوره فوضى القطاعات التي تسبب حالة الانهيار ، والعشوائية المضللة من خلال الأطر البيروقراطية ، لذلك حاربها عن طريق الديمقراطية بفرضيات واضحة ومفهومة ، وجعلها بوابة لمحاربة هذه الفوضى المتفشية في جانبنا العربي .

فرضية البحث : فرضت في هذا البحث مقولة العقل الحداثي العربي هل يصمد امام المتغيرات الغربية ، والنكوصية التراثية ؟ وإمكانية تكوين عقل عربي ناهض وفاهم بالمتغيرات الحياتية العالمية .

منهجية البحث : استخدمت في البحث المنهج الوصفي ، كوصف العقل التراثي والحداثي في الجانب العربي ، والصراعات الموجودة مع الجانب الغربي ، والمنهج التحليلي لأفكار " محمد سبيلا " مستعرضاً ما جاء في أهم كتبه المؤلفة ونظرياته المعروضة ، ومقولاته المكتوبة .

وجاء البحث بمبحثين وكل مبحث يتناول فرضيتين وهو كالاتي :

المبحث الأول : العقل بين التراث والحداثة :

أولا : العقل التراثي والجدليات المتاحة .

ثانيا : العقل الحداثي ومناهج الإنتاج .

المبحث الثاني : العقل والحداثة عند محمد سبيلا :

أولا : العقل والحداثة بين الاجتماع والسياسة عند محمد سبيلا .

ثانيا : العقل والحداثة وصراع المناهج عند محمد سبيلا .

المبحث الأول : العقل بين التراث والحداثة

أولا : العقل التراثي والجدليات المتاحة :

المجهودات العقلية تأخذ على عاتقها فهم ما يجري في الحياة ، سواء اكانت دينية أم تجريبية ؛ لان اعمال العقل مهمة شاقة في استنتاج ما يجب استنتاجه في الظروف المعاشة وعلى اقل التقادير ؛ لأنها تمثل الاسبقية في الفهم من عدمه .

وعند التأمل نجد ان اعتقادنا في المسائل التي امنا بها هي اثار وجدانية واختيارية ، والاعتقاد فعلاً هو اثر لمجهوداتنا العقلية ، وليس لطبائعنا الوجدانية والاختيارية اثر فيه ، النوع الأخير هو الأفضل لكونه نابع من تفكير وتأمل ، لذلك ظهر تأثير الإرادة في الاعتقاد ، والذي من خلاله يمكن تعديل ارائنا ومعتقداتنا بمجرد المشيئة والإرادة ، وتساعد قوتنا التفكيرية على ادراك الصدق او تكون بعد ذلك عقبة في طريق الادراك [١] ، بعّده هو المسهل لعملية التمييز بين ما هو كائن ومايجب ان يكون في ضوء هذه المجهودات .

ويذهب آخرون ، الا ان الموضوعات الأخلاقية ، على ما يبدو هي مسائل لا تحتمل التأجيل حتى تأتي الأدلة الحسية ؛ لأنها لا تأخذ الحس ، ولكنها تأخذ القضايا المتعلقة بما هو حسن ، او بما يكون حسناً على فرض وجوده ، وهنا يأتي العلم ليحدثنا عن الموجود بالفعل ، والمقارنة مع القيم ، وهي قيم ما يوجد وما لا يوجد ، وهنا يرجعنا مرة أخرى الى القلب لا الى العلم كما فعل " باسكال " مثلاً ، ويعده تصحيحاً ؛ لأنه يجلب للإنسان أنواعاً أخرى من الحسن ينادي بها القلب [٢]، وهي دائماً ما تركن الى المقولات التراثية على حسابات أخرى .

لذلك ، الناس يهتمون كثيراً بالعقل من حيث علاقته بالعالم ، وأيضاً في المعرفة ، بعّدها حقيقة واقعة أو حقيقة غامضة ، وهنا تتشكل علاقة الوعي بموضوعه ، وهي المشكلة التي تمت بشكل خاص الاتصال بنظرية المعرفة وبثلاثية " ميونغ " المتعلقة بالتفكير وهي "الفعل والمضمون والشيء" ، وضمن هذه الأطر تتحدد موجات المعلومات داخل الفكر بوجودها اللحظي البياني ، الذي قد يذهب الى نقطة الانطلاق الواسعة بحيث يغتزل ما تبناه من تصورات قبلية ماضوية [٣] ، تأخذ التفكير الى مجالات التراث مثلاً او الاعتقاد بصيغ مختلفة ، نعم ، قد يكون للمتخيل دوراً فيها ، يعمل على الاستنتاج والفحص لينطلق انطلاقات أوسع واسرع .

والمتعين من العقل هو الفعل ؛ لان واقعة المضمون التفكيري هي التي تشكل واقعة التفكير ، وان التفكير فعل يقوم به الشخص من خلال العقل ، وهذه الحزم مختلفة بين كل الأشخاص اللذين يحلون على نمط واحد من التبعات الفكرية الماضوية والحاضرة معا ؛ لأنها تشكل تفكيري وتفكيرك وتفكير الاخر [٤]، بحسب البيئة والمنتج الحضاري والبعد الديني .

وهنا ، ان العقل عليه تبعات جسيمة في فهم تراثه والتعامل مع النصوص ؛ لأنه يمثل حجر الزاوية بالنسبة للإنسان ؛ ولأنه يمثل منطلق التكليف ، وهو الذي يحدد سعادة وسقم الانسان ، فعندها تكون دراسة العقل صعبة وتستوجب الاخذ بمجموعة من الأمور والعناصر والاعتبارات الداخلة والمتداخلة في تكوين العقل ، وصياغة فعله يستوجب الدخول الى الجانب العقيدي ، والثقافي ، والعادات والتقاليد ، والأنظمة الحاكمة ، والفرض الاجتماعي ، والحالة المعاشية ، والجانب الأسطوري ، وغيرها من الأمور التي تشكل العقل وتحدد مكوناته وطريقة فهمه للأشياء ، وكيفية تعامله مع المتغيرات ؛ لأنها فعلاً واجبة في دراسة العقل البشري وصيرورته بشكل عام ، ولاسيما نحن نتكلم هنا عن العقل العربي وحالة التخبط التي يعيش فيها ويحييها العالم العربي من تعدد الأنظمة وصناعة الحدود من جانب تعدد الثروات الطبيعية ، وملازمة الجهل والتبعية [٥]، التي تحدد نمط العقل عند المقابل وكيفية تفسيرها ضمن المعطيات الظاهرة .

والواضح من ذلك ، ان الثقافة والحضارة في أي مجتمع ، تعمل على صياغة العقل وبنائه ، اذ يستلزم هنا معرفة معطيات الحضارة ، التي تؤدي الأثر الواضح وتترك بصماته في العقل البشري و تؤثر على الممارسات اليومية وطريقة فهمنا للحياة ، وطريقة النمو أيضاً ، وبجدلية الشرق والغرب ، نبقى في رهان هذه المقولات ، عندها نجد ان ثقافة الغرب اوجدت عقلاً تحليلياً ، وثقافة الشرق اوجدت عقلاً تركيباً ، وهذا بحد ذاته تجني على الثقافة العربية ، لتأسيسه لمقولة الغرب ولدّ الحضارة وتعامل معها ، بينما الحضارة نتاج جهود متراكمة ؛ لان الشرق فيه حضارات وديانات ، ولا يجوز التعميم بهذه الصورة المطلقة [٦]، التي قد تبين للقارئ بأن الغرب انتج ، وأين انتاج الشرق ؟ هذه المغالطة الكبرى ممكن ان تضع الشرق دائماً في حقل التراث ولا يمكن عندها تجاوز هذه المقولات وأنتاج اشتغالات كثيرة ، والشاهد في العقل العربي كثير في طريقة التعامل مع الحالات سواء أكانت تراثية ام غيرها .

وبعدها ، اصبح العقل العربي الجهاز الفعّال للخروج بالعرب سالمين ومتحدين من البلبلة الفكرية الى طريق محدد ومنهج واضح ، واتضاح الهدف العام لكل هذه الاتهامات التي انصبت عليه بأوصاف مختلفة من الشلل والسلبية وغيرها ، وعلى الرغم من وجود الفلسفات المتفقة على التضارب والتناقض الفلسفي لزحزحة العقل العربي بدعوى المعاصرة والانفكاك عن ماضيه وتاريخه وعن منهجه واصالته ، وهو يجول في ميادين الدين عبر مصادره الحقيقية في دواخله العلمية [٧] ، وعبر قنواته الحقيقية التي تضمن له البقاء على الاستمرار في التراث والانتقال الى الحاضر واستشراف المستقبل .

نعم ، أن طريق العرب للتقدم يبدأ برؤى مختلفة شاملة ومعينة يتحرر بها العقل العربي بكل اصالته ومن كل عوائقه ، اذ يرى الماضي جلياً في صورة الحاضر أو الواقع ، وتكون بداية الطريق فعلاً هي مواجهة وملاشاة هذه الظواهر نفسها على أزمة التخلف بين العرب ، وأزمة التدهور في لغتهم المعبرة عنهم ، وأيضاً عن وحدة الرؤية والكلمات والمعاني والغايات في حياتهم المؤمنة ، وبأدلة مختلفة بدليل لغة العرب ودينهم وتاريخهم وهو ما اختاره الله للعرب ، وتبقى مقولات الفلاسفة في هذا المجال راجعة الى فلسفتهم واصالتهم والانتقال من دعوة التفلسف الى دعوة الايمان ، واما المضي أحراراً بالفلسفة بحجة وبرهان أيضاً [٨] ، وهي طرق معرفية تقدر الفاهم للموضوع الفلسفي العقلي وسيره المرحلي وعلى الصعد كافة .

ولقد خلا التعبير في الجانب العربي وفي ذروة الصحوة العربية من حقائق اصالتها وكوامن قدراتها ، وضّعت بدموع وشكايات وضياعات واستباحات في لغة منصوبة لاسترقاقها واذلالها ، وإيجاد لغات غير هذه اللغة المبنية ، اما تقوي الغلاف او تكون منبهاً لما يحدث ، وهذا المنبه الذي نحتاجه هو بمثابة حقائق اصيلة ايمانية وعلمية تخرج كأدوات تزيد من طريقة العلم والتعلم وتنطلق بلغة واضحة بأنها قادرة على تكوين هذا الحماس [٩] الموقظ للعقلية العربية التي تنحى بشروط العقل ان يتواجد في ابعاده الفكرية ليكون الحاضن للمتغيرات كمنهج استحواذي بدءاً ومن ثم يبدأ بالإزاحة الفردية ، باختيار الأفضل ثم الأفضل في الواقع العربي ، ليبين القوة من الضعف ، وقيمة التراث وحفظه للأجيال ، وقيمة الحداثة واستمرارها مع التراث ، وقيمة الحداثة منفصلة عن التراث .

وتجد هناك من يحدد التراث بمسمى " السوابق التاريخية " كمحمد عمارة مثلاً باعتقاده ان دراسة التراث بأشكاله ثم الرجوع والانطلاق الى عمليات تطويرية ، بوجود انصار لهذه العملية التطويرية ، وهي منارات هادئة وهانئة وعلامات طريق تستحث الخطى لتتسلم المشعل وتكمل الخطوات ، والامداد بعناصر تساعدنا في صياغة مناهج أكثر دقة تقدم عوامل التجديد والتطوير ، او الاجهاز على بعض الدعوات الرجعية الجامدة ، وليس المحافظة ، والتي ترفض التطوير جملةً وتفصيلاً ، بمقولة ليس بالإمكان أبدع مما كان [١٠]، مثل هذه الحمولات الثقيلة تعطي مسافة استحيائية ؛ لان تكون بين التراجع والتقدم خطوة واحدة ، وهذا ما أفرزه العمل على التصورات الكلية والجزئية في البيئة العربية ، ومما يؤكده " محمد سبيلا " في هذه السوابق أيضا أن العقل العربي لحد الان في خضوع لسلطة التراث والالتباسات الفكرية ، التي نحاول معالجتها في المبحث الثاني .

ثانيا : العقل الحداثي ومناهج الإنتاج :

استعراض السوابق التاريخية وبمفاصلها التواجدية ، حدد مسافة العقل في فهمه للمنظومة الفكرية العامة ، وانتقالها من نقطة التحول الخاص الى التحول العام ، وذلك بفضل عملية انتاج المناهج وبكل مستوياتها التربوية والعلمية والفكرية ونطاقاتها المستخدمة .

وهنا ، أول ما يواجهنا من عوامل تصد عملية الإنتاج المناهجي بأدواره الحداثية ، هي العوامل الراديكالية التي زعزعت الاتجاهات المحافظة ، وفتحت المزيد من الافاق الواعدة بالتحرر الثقافي ، الامر الذي أدى بالدوائر المنتجة الى دعم مناخ التمرد على المناهج المتوارثة في دراسة المنظومة بوجه عام ، والاقبال على المناهج الجديدة القادمة من الغرب أمثال البنيوية والتفكيكية وغيرها من المناهج والنظريات التي أحدثت تغيراً جذرياً ونقداً ومقارنةً [١١] تمكّن أدوات التفكير من السير نحو مفاهيم أكثر علقة بالجانب المعاصر ، وهو ليس الغاء للقدامة نهائياً كما يدعي البعض .

وفعلاً ، قد تهاوت النظرة التي اصابت التشقق والتغاير ووصلت في حركاتها التحررية الى ذروتها في ستينات القرن الماضي ، ونجحت بصورة او أخرى في القضاء على الاستعمار القديم ، واستهلكت معركتها مع الاستعمار الجديد ، وكذلك تزايدت الأهمية الاقتصادية للدول المنتجة وتصاعدت اشكال الحضور فيها [١٢] ، مما ضغط المواجهات بين الاستعماريين ليوجد حالات اكثر هدوءاً .

وبين المسافتين ، اختلف الامر ، ولاسيما في وقتنا المعاصر ، في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، وبكلمة الحضارة الراهنة كما تحدث عنها محمد عابد الجابري ، اذ اختلفت اختلافاً جذرياً عن نمط حياة السلف ،وبالتالي احتكمت الى الاشباه والنظائر ، على الرغم من أن معظم معطيات الحضارة لا أشباه لها ولا نظائر في الماضي ، والتعامل مع حاجيات وكماليات عصرنا أصبح امراً شبه ضروري [١٣]، وهو الانتقال من والى حتى يمكننا من مزاولة الخطاب .

وهذا الانتقال بمستوياته المتعددة ، أوجد لنا خط شروع وهو المعاصرة بمعنى مواكبة التقدم العالمي ، للبحث عن مصداقية الطروحات ولو على الصعيد الغربي كما ينادي بها الكثير من المفكرين العرب كمنهجية فعلية منتجة لواقعها وتنصهر معها في مجالها العالمي ، وتنتظم في سيرورتها الفكرية والإنتاجية ، وتدخل في صراع تمردي مع الاصالة والانغلاق والنكوص ، وهذا الانتظام الانتاجي نقدي في بعض مفاصله ، لتوّلد فيما بعد حداثة المنهج وحداثة الرؤية وحداثة العقل ، هذه الحداثات المتعددة والتي تلغي بدورها الحداثة المطلقة ظاهرة تاريخية أو مرحلة

تاريخية ، ممكن ان تنتهي كما أنتهت النهضة وصولاً الى الحداثة أو ما بعد الحداثة أو ما بعد بعد الحداثة ، فكل من النهضة وتوابعها وصولاً للحداثة في عالمنا العربي لا تشكل كل واحدة منها كلاً واحداً ، بل هي مراحل متداخلة متشابكة متزامنة ضمن المرحلة المعاصرة ولمئة عام وهي غير متجاوزة [١٤]لهذه المراحل ، بمعنى أنها لا تقطع اشواطاً في سبيل الذهاب الى هدف العالمية المنشودة ، هذه المحلية تجعل الإنتاج محلي والعقل محلي والرؤية محلية ، لذلك لابد من إيجاد الضوء في نهاية النفق .

نعم ، ان الفكر العربي الحداثي بأجزاء منه ، أعتمد على منهجية تصدر الاحكام المتسرعة والاطلاقية كما تحدث شفيق منير ، لاسيما عند المرور بالتراث ، بوصفه بالتخلف والجمود والرتابة والعجز والقصور الذاتي وغيره من الاوصاف ، فهل التخلي هو الحل ؟ ام الترميم هو الحل ؟ او المزاوجة هي الحل ؟ فالأخذ بالحداثة الغربية كلها ، يعني استخدام منهجية الإنتاج من البعيد ، وهذا يصدر حكم مشاهد بأن مجتمعاتنا قاصرة ، والواقع غير ذلك ؛ لان مجتمعاتنا اتسمت بحيوية عالية للنهوض ، والسعي للتغير بمحاولات جادة وضمن الاطار الموجود حتى ، المشكلة الموجودة ليست من الخارج فحسب بنظرية الغطاء الضاغط ؛ ولكن ، المشكلة من الداخل أيضاً [١٥]، من خلال توفير الدعم لهذا الغطاء او على أقل التقادير القبول به .

فالخطر بالمنهجية التي تحكم النظرة الى مجتمعاتنا ، والتي تهيمن بالسطوة على مجتمعاتنا تحكم النظرة الى الحداثة ، وبصورة معكوسة ؛ لأنها تستخدم سكاكين النقد لمجتمعاتنا في مناقشة الحداثة وتواجدها عندنا ؛ لتحل محلها نظرة الانبهار والاعجاب ، وتقبل كل ما هو قائم ، حتى وان لم يكن يرضينا ، اذن اين الدفاع عن ثقافتنا ؟ هل هي غائبة ام غائمة ام ماذا ؟ نعم ، انها افرزت الاستعمار والعنصرية والحروب ، ونهب الثروات ، وإقامة نظام عالمي ضاغط وظالم بشريعة الغاب ، يأكل القوي فيه الضعيف ، والادهى من ذلك ، يزداد الغني غنىً ، ويزداد الفقير فقراً ، والمناداة المسموعة من بعضهم ، أن الغرب حمل الينا العقل الموضوعي والمنهج العلمي والديمقراطية والحرية وحقوق الانسان وغيرها ، وجعلتنا نتخلص من العقول القديمة المانعة للإنتاج ؛ فهي اذن عقلية تصادر كل إيجابية ، وتلغي التاريخية والحضارة والثقافة وتلغي كل سلبية موجهة اليها [١٦]، هذا الانقلاب المفاهيمي فهمه الداخل بأنه الذي يجب أن يكون بسياسة التطبع العقلي الممنهج ، سواء أكان فاهماً لأساسية اللعبة ام مخترق ولا يدري ماذا يدور ! فهي قطعاً سياسة تدوير وتوزيع الأدوار الداخلية ؛ لإعادة انتاج الحداثة الغربية داخل الأراضي العربية ، بل داخل العقول العربية .

والمهم بالموضوع هنا ، النقد في إعادة الإنتاج المعرفي الحداثي ليس فقط من داخل المنظومة العربية ، بل هناك انتقادات حتى من الجانب الغربي ، فنلحظ مثلاً أن التطرق لابد ان يكون في نقد الحداثة في الجانب السسيولوجي المتميز بالرؤية التاريخية البانورامية لفكر الحداثة عبر تطوره ، وبحركات التبشير الحداثية في العالم ؛ وهو يشمل السياسة والاقتصاد والثقافة برمتها ، وسياق ظهور فكرة الحداثة وتأثيرها في العقول وادوارها الكاشفة عن الصواب أو الخطأ في رصد الموضوعات ، قد يفهم المتلقي أن سعار الحداثة أثر على الجانب العربي فقط ، بل هو قد أثر حتى على الجانب الغربي ذاته [١٧]؛ لأنه يبدأ عملية الفرز الخارجي الى الداخل وهي مهمة صعبة وجيدة أن يصل القارئ الى هذا المستوى من الوعي .

وفكرة الحداثة في شكلها الباحث عن الانسان وما يفعله ، هي صلة تتوطد بين الإنتاج الذي اصبح أكثر فاعلية بفضل العلم والتكنلوجيا ، وبين تنظيم المجتمع الذي ينظمه قانون الحياة الشخصية بعبارات المصلحة الخاصة ، والتحرر من الضغوطات على أي شيء ومن أي شيء ، هذه الصلة التي تقام بين الثقافة العلمية والمجتمع المنظم هي علاقة بين الفعل الإنساني ونظام العالم وتطبيقاته ؛ لان اشباع الحاجات أصبحت أموراً عقلانية فرضت تعسفاً على كل قديم ، وتأسيس السعادة الشخصية لا يتحقق الا من خلال الملكية المطلقة ، ووضع اقتصاد السوق هو الأساس في بناء المجتمع الحديث بمقولات الديمقراطية وفرضيات العقل الحداثي [١٨]؛ الذي انتج لنا مستوعبات كثيرة جعلتنا في دوامة الحداثة وتداعياتها والغوص في الرأسمالية المولدة للبرغماتية الشخصية على حساب العقل الجمعي ، وافرز " سبيلا " في هذا النطاق عرضاً موضوعياً للحداثة بعدها النموذج المثالي الممكن التحقق مع أدوات هذا العقل ولو جزئياً وهو انتقال المجتمع ضمن السيرورة التحولية للمفردات الاجتماعية .

المبحث الثاني : العقل والحداثة عند محمد سبيلا

أولا : العقل والحداثة بين الاجتماع والسياسة عند محمد سبيلا :

يذهب "سبيلا" الى أهمية دعم القضايا الاجتماعية والإنسانية من منظور العلوم الإنسانية الحديثة ، لما لها من موضوعية في قراءة الواقع بعيداً عن منظور التصورات التقليدية المتوارثة والتي هي أساس النظرة المعتادة والمتداولة لهذه القضايا ؛ لأنها قاصرة على هذا المستوى في مجالات التقنية ، ويبقى في اطار التراجع عن الإنتاج الفكري والثقافي المعاش في افق الحياة الحالية ، وكل هذا تجد الفرد العربي عامة والمتعلم منهم على وجه الخصوص يتعلق بقسم من الحداثة ويغفل الطرف الاخر الذي لا يقل أهمية وبالنظرة الموضوعية للظواهر الحياتية مبتعداً

عن الصبغة الايدلوجية الثقافية والموضوعة في الاطار التاريخي والفكري الخاص بها [١٩]، مما يؤسس الى عملية فرز في الموضوعات المدروسة .

لذلك ، ان الاستهلاك الجمعي غير المحدد وتبديل أساليب الحياة تأخذ من خلالها الحياة عملية تنميط وتتداخل معها الثقافة وتتصل معه في عالم واحد ، فتتشكل الثقافة الواحدة العارفة والشعبية على حد سواء مما يوجد حالة من التشظي والتلفيق ؛ بمقولة ان المجتمع يعيش في نمط اشكال مرنة للتنظيم الصناعي يسير نحو منافع متعددة وضعيفة بأعمال مؤقتة مصلحية ، مما يسبب نشوء التراتبية الاجتماعية [٢٠]، والتي من خلالها يمكن فهم طبيعة هذا الاستهلاك عن طريق التنظيم الموازي للصناعة واستدرار المنفعة الخاصة بها .

لذلك ، أن التقدم الحاصل في الحياة يؤكد تقدم العقلانية والتقنية من خلال تصفية المعتقدات والتقاليد والامتيازات الموروثة من الماضي ، ويوجد لنا مضامين ثقافية حديثة وقابلة للتحديث ؛ بعده الدليل على تكامل العقل واللذة وان كان على نحو استباقي ، وعلى الرغم من ارتفاع مستويات المعيشة الا ان الفكر الديني بأمكانه ان يجمع بين ملذات الجسد والعقل وحتى الانفعالات بأحساس ممنهج ، مما سبب ظروف صادمة للحياة الحقيقية وللأغلبية ؛ لذلك جاءت الحرية مفككة في ابعادها والتحاماتها الاقتصادية والسياسية على نحو تكامل الاستراتيجيات وتفكك بناء النمط السائد في المجتمعات وفكرة الحداثة تعمل على ربط التقدم بالثقافة [٢١]وهو ما تركن اليه مقولات الحرية على الرغم من التفكك الحاصل في مفصليات الحياة الأكثر تعقيداً ، وبوجود العقل كمفّعل ومسيطر على نمط العيش المشترك ، الذي تظهر معالمه في العيش ضمن تخوم الأقوى في اظهار العقلانية في التعامل مع الثقافة كربح واعي مميز يشتغل على نمط معرفي مبين الانوار المستقاة من التحديث القادر على سد الثغرات البعيدة والقريبة ؛ ليبعد التشظي الملحوظ بالتراجع القهقري بالأخذ بمعطيات بعيدة عن الحداثة وتوابعها البعدية .

هذه التوابع ، يراها بعضهم شروراً داهمت المجتمع منذ دخول الكولنيالية ؛ بتبني التصورات المختلفة في الحداثة ، ويتنكر للاستغلال والتلوث الحاصل عن البطالة من خلال التفكك الاسري والشذوذ والمخدرات والنزعات الانكارية ، وكأن الحداثة قمامة شملت كل سوءات المجتمع الحالي المؤطر بالتحديث ، مما يجعل الامر مرفوض ومدان بمقدمات فكرية ، وهذا الحكم الأخلاقي الايدلوجي يغلق مفاهيم الحوار والنقاش [٢٢]، وينقلنا الى خانة الصراع المقيت لأثبات الأفضلية من عدمها ، او الغاء الاخر بكل تصوراته وان كانت نافعة من ناحية التقانة على اقل التقادير .

على الرغم من أن "سبيلا" يعتقد ان مفهوم الحداثة جديد وهو لا يخلو من التباس ، و قراءته في بعض الأحيان تأتي بقراءة سطحية ، وبمعنى زمكاني و اكثر الخطابات الحاصلة فيه تذهب

الى ان الحداثة هي مرادف للان ، او لما هو معاصر ، او للجديد حتى ، وبمعنى ما هو قائم حالياً فعلاً ؛ لان صغر سن الحداثة يقرأه أصحاب اللغة بعّده صغيراً نسبياً ولا يمكن ان يكون بهذه الأهمية المصاغة ، فيذهب الى مستواه الفلسفي والفكري بدلالتين مهمتين :

–اولاهما التاريخية : وهي الفترة المرجعية في اوربا ابتداءً من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع عشر ، ومارافقته من احداث مفصلية وانعطافية كبرى ، كالاصلاح الديني وفكرة الانوار .

–وثانيهما فكرية وفلسفية : من خلال البنية الفلسفية والفكرية ببروز النزعة الإنسانية بمدلولاتها الفلسفية التي تعطي للإنسان قيمة مركزية أساسية في الكون ، وظهور النزعة العقلانية الاداتية .[٢٣]

ما بين التاريخية ومرجعيتها الاوربية ، والتي انتجت لنا ظهورات مختلفة من الاحداث نقلت الواقع الأوربي من نقطة الثيوقراطية الى نقطة الديمقراطية ، لتشغل الانسان الحديث بتحديث يمكنه من قراءة الواقع بعيداً عن ضغط الكنيسة والجانب الايدلوجي القاهر والفارض حضوره في قوى في اوربا في تلك الفترة ، وما بين الرؤية الفلسفية والفكرية التي غّيرت تفكير الانسان الأوربي ونقلته من الماضوية الى العقلانية بقراءات اعطته هذه القيمة الفكرية برفع الوعي بمناطق التعامل القائم على توظيف المنطق وتكوين انسان الالة محل انسان الكنيسة بفرضيات وضعها المشتركون بقوالب نقل التفكير ، وهذا التشظي كما يدعيه بعضهم ولد نواة الخروج من قوقعة الاسترسال بالقدامة واحلال الحداثة .

ولعل ، اشتغال منطقة العقل في فهم نقطة الانتقال مهمة وواعية ، اذ ان العقل ممكن ان يضاف له البعد الايدلوجي حى في الجوانب الحداثوية؛ لأنها تنتمي الى منطقة الوعي ، علينا ان لا ننخدع بهذه التسمية التي تظل حاملة لأثار الإشكالية المثالية ، على الرغم ان الايدلوجية تعتمد وبالدرجة الأولى على سيكولوجية المصالح ، بينما نجد تحليلات وظيفية اكثر صورية ولا ترجع الى البواعث ؛ بكونها تتماشى مع العقل الجمعي الاسترسالي وبالطابع المقصود وتكون سلسلة من الأخطاء التي تحتاج الى معالجات [٢٤]جوهرية تغير مقام العقل من العام الى الخاص .

اما بالنسبة الى اتخاذ المنهج التاريخي الاجتماعي الذي يذهب الى الاعتراف بأن كل فكر تاريخي مرتبط بالوضعية الاجتماعية التي يحياها المفكر ويكون اتصالها بنظرية المعرفة والتي بدورها تتجاهل التفاعل الموجود بين الشروط الواقعية وبين أنماط التفكير ، وتكون بين نمطين قديم وحديث [٢٥]، وهذه الأنماط مركّبة بحسب تواجدها الزمكاني تبدأ بالانطلاق وتأخذ مديات الاستزادة لتعرف تواجدها في المحيط الفكري والمكانة العقلية فيه .

هذا التركيب الذي أراد منه " محمد سبيلا " بمعنى العسر في تطويق معنى الحداثة ، وضبط مكوناتها ومجالاتها ومعالمها ودلالاتها بعّد الحداثة هي ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميز بدرجة معينة من تواجد التقنية والعقلانية بالتعدد والتفتح ، على الرغم من ظهور مجتمع برجوازي حديث ادعى النهضة الغربية واشكالها ، والتي جعلت المجتمعات المتطورة صناعياً تحقق مستوى عالمي واضح المعالم ، مكنّت القوي من غزو المجتمعات الأخرى ؛ مما سبب فيما بعد صدمة الحداثة ودوافعها ، ولاسيما للمجتمعات المتلقية للحداثة بصورة فجائية ومن غير سابق انذار ؛ اذ خلقت جانباً قلقاً ومتخلخلاً في الوقت ذاته ، وفجرت دينامية التحول بما يستتبع ذلك من اهتزاز في القيم والعادات والهويات ، وضعف وقطع في التواصل المباشر [٢٦]بين المجتمعات .

ولم تبقى في حيز ما تقدم فقط ، بل صاحب ذلك انتقال تدريجي في كيفية احتكار السلطة من الارتكاز على العصبيات الدموية والإقليمية والعشائرية الى التكتل الطبقي التدريجي ، ويرى "سبيلا" هنا ان المعيار السياسي اصبح هو المصلحة لا التضامن او القرابات العرقية والقبلية ، مما افسح المجال لظهور تنظيمات سياسية جديدة قائمة على الايدلوجيا والقرابات العرقية الطبقية والصبغة الدنيوية للميدان السياسي ، مما يفرض ان مظاهر الحداثة الفكرية في المجال السياسي اعتبرت الأفكار السياسية مجرد ايدلوجيا أي وجهات نظر خاصة بفئات او طبقات [٢٧]، تبقى في استمرارها لتحقيق ما تريد اجتماعياً .

فالحداثة الاجتماعية لديه نمّت بصورة واسعة بنمو الحركة الاجتماعية في مستويات الجسم الاجتماعي كافة ، وبأنماط السلوك والقيم والعادات الساكنة المتناقلة ، و بثبات كلها تعرضت لهزات مختلفة ، من قبيل العائلة وتقلصها ، والعصبيات الراسخة التي بدأت بتفكيك الرؤية السياسية الدموية ونقلها بالحداثة الى روابط عمومية قائمة على الموقع الطبقي والدور الانتاجي وفاعليته الاجتماعية [٢٨]وتوظيفه بالحركات ، بمعنى انصهاره بالسلوكيات وإنتاج ما يمكن انتاجه ولو على المستوى البعيد .

ثانيا : العقل والحداثة وصراع المناهج عند محمد سبيلا :

هناك عوائق كثيرة تختص بالجانب الابستيمي يؤطر لعمل كل نقطة من نقاط التعامل الفعلية في المجتمع الإنساني ، ويتخذ العقل الجانب الفيصلي في كل تواجداتها ، و ما يميز افراز هذه الأنماط وتعاملاتها هو العقل في مفاهيمه المختلفة كالمفهوم النظري وتجليه العملي عبر التاريخ الحديث وعبر الفعل الحضاري بين الغياب والفعل ، ونمط الاشتغال ضمن المناهج المستخدمة ،ولعل ، التقوية تظهر في اللافعل على حساب الفعل ،[٢٩]فنمط التراوح بين التراث والحداثة يشكل

بؤرة قلق لدى الكاتب والمتلقي ، وقطعاً ان المتلقي له حرية في الإبحار ، ولكن نقطة الاثارة التي يشكلها الكاتب هي محور الحديث الدائر .

ومن هذه الاشتغالات التي أكد عليها " سبيلا" في الابعاد الثلاث الفعل والفاعل والمفعول ، اذ يحيل الدخول الى معالجة هذا المشكل من باب الكيان الموهم بالفاعل ، لا من باب الفعل ، سواء في صيغته اللازمة التحديث او في صيغته المتعدية التحديث ، يخلق بعدها فعلاً ضرباً من الالتباس والايهام الملازم عضوياً وباطنياً لمصطلح الحداثة ذاته .[٣٠]

وحتى يبين عمق المناهجية الثلاثية ، اذ يقول لاشك اذن في وجود فعل بل أفعال ، وكذا في موجود مفعول بل مفاعيل ، هذا اذا لم نجار النحاة ، ونتحدث عن المفعول به ، والمفعول فيه والمفعول له ، والمفعول معه ، والمفعول لأجله ، فمن يفعل ذلك اذا لم تكن الحداثة قد فعلته ؟

لذلك يعر ض الاسئلة الاتية :

-هل الحداثة فعل بدون فاعل ؟

-هل هي مفعول لا فاعل له ؟

ويستبعد بعدها الفاعل المجرد المزعوم ، ويبحث عن فاعل وفواعل الحداثة ، وعن فاعلها الفعلي الملموس ، ويغامر بعدها بتقديم بعض الأفكار التي هي اقرب ما تكون الى فرضيات أولية تفسيرية ،[٣١] تقرر مصير العمل لتخرج من مأزق الحداثة وتبتعد عن الحرج الذي وقعت فيه .

ويأخذ بعدها اعتبارات عامة تصور النمط المعرفي الكاشف عن المعادن المتصدرة للمنهج العملي وتقويماته ، اذ يمكن اعتبار الذروة القصوى للحداثة " العولمة " مثلاً ؛ لأنها في عنفوانها وشراستها وبروز قوتها ، وهنا تأخذ منهج السيطرة الفارض امكانيته الاقتصادية والمالية والتقنية ، وان كانت تستثير ردود أفعال غريبة عن الواقع وتؤسس لمناطقية مزعومة باستراتيجيات دفاع قوية ، من اجل توعية الناس وانفكاكها عن التقليد والمفارقات الأخرى [٣٢] القابلة لان تكون اسهامات .

حتى ان "سبيلا" في رده على سؤال الحداثة ، أجاب على انها غربية المنشأ ، ولكن الحداثة الغربية نفسها هي جماع مساهمات من حضارات مختلفة ، وتدخل فيها حتى الحضارة الإسلامية ، وبقفزتها النوعية حققت ثورات علمية وتقانية عالية [٣٣]باستخدام لغة العقل مما يحقق التنظيم والمنهج الذي يمكن المجتمع أن يفهم صالحه من طالحه عن طريق وضع اليات ومعايير تكشف ذلك .

وهذا التنظيم له أصول ومنهج أيضا ، يتخذه بعضهم كميزان حكم ، ولاسيما عندما نسأل العقل عن اصوله فأننا نقحمه في التاريخ ، ونعامله على انه ظاهرة بشرية ، وانه نسبي خاضع لشروط

تاريخية معينة متقلب بتقلب تلك الشروط ، لذلك ينتقل من مفهوم لاهوتي ميتافيزيقي عن العقل الى شيء مخالف تماماً ، وهي اشكال فالفكر العقلاني في تنوعاته وتغيراته وتحولاته التي يزداد عمقها لتكون انماطاً من التفكير بتقنيات ذهنية وبتجارب معرفية بالاستدلال والبرهان والتفنيد ، ولا يكون ذلك الا بتدبير الحجج وأنواع متباينة من التجربة [٣٤] في العوالم المختلفة .

لذلك ، يعده عالم متقلب ، عالم من الأفكار الواهية ، وهي بذاتها تكون ذات شأن كبير عند بعضهم ، تلك الملابسات الحياتية ، يندمج ويصبح عنصراً مهماً من عناصر الوجود ، قد تكون الاستنارة الموجه للوعي البشري ليكونوا ضمن وحدة ووئام كأشخاص يحيون في التاريخ علامات ويستعملون كلمات ، ثم لعلهم يبرروا هذا العلم بطريقة منهجية ليكون الاحتراف فيما بعد [٣٥]، نعم نقطة اللامبالاة والمعزوف على وترها الطوباوية في حقلها الخاص لتطعم المقابل المتغذي على منهجيته والرافض لكل منهجية بعّدها عدواً له .

ويوصلنا "سبيلا" بعدها الى نقطة منهجية أخرى يحاكي فيها النقاط المفقودة ، والتي تتعامل ضمن أطر البيوقراطية في عالمنا العربي ، والتي أظهرت قدرة هائلة وواضحة في تليين العقلنة وتكييفها بأعطائها مضموناً ملموساً عبر ما سماه الزبونية واخذه بمعطى المحسوبية والشروة والنهب ، وهي في افضل الأحوال تقدم العموميات المنشأة على حساب الخدمات الأخرى ، وهذه فوضى القطاعات ، والتخبط الحاصل بين قطاعات الدولة والقطاع الخاص ، لذلك كانت المناطق الرخوة مشكلة تحتاج الى حلول فورية وواقعية حتى ل اتبقى مطاطة ، وبعبارة " تقص وفق المقاس الشخصي" ، وهذا التحول من الملكية العمومية الى الخصوصية ولّد لدينا منهجاً يرى كل شيء مشروع وممكن [٣٦]؛ لان كل حالة ستمرر سيستمر العمل البيروقراطي بأطاره العشوائي الذي يبقي كل شيء في عشوائية مقيتة .

وحتى يحصل على ديمقراطية متكاملة ومفهومة ، يحيل موضوعة الديمقراطية كبوابة لمعالجة البيوقراطية ؛ ولكنه يصطدم بوجود حالات تكرار للمسافة الحياتية ، ويضيف الى انه يبدو أن الرحيل او الموت هو الكائن الديمقراطي الوحيد في منطقتنا العربية ، لأنه أهدل الأشياء قسمة بين الناس ، ولعله الحل الديمقراطي البديل لتجديد الديمقراطية الخاصة وليس الديمقراطية العامة ، فيذهب ليكون شوبنهاورياً في تشاؤمه ، برؤيته الى عدم وصول الديمقراطية في الحياة [٣٧]، بل تظهر في نقاط ابعد من ذلك ، وتجد لها سوق رائجة .

وهنا، تحدث عن التجاذبات الحاصلة في هذا الحقل الواسع ، وبين الشبكات العمومية والخصوصية المتصارعة ، واحداهما نازلة وفيها يحدث الاختزال ، وأخرى صاعدة يحصل فيها التضخيم ، ونتيجة التصارع تحدث أشكال من الوعي الشقي ، وهو خليط مركب من أفكار

مؤدلجة في ابعاد منها البعد الديني ؛ مما يحدث فيما بعد افسال الايدلوجيات العلمانية ببعد اسكاتولوجي ، مما يوجد تشكلات وثقافات مختلفة ، فعند الالتقاء ، الكل ينادي بمنهجه الايدلوجي على حساب المنهج الابستمولوجي [٣٨]؛ مما يقوي الاستحضار في ساحة الصراع ، ويكّون حلقات من الفراغ والتفريغ ، فالعودة دائماً الى الاستعراض ليس من مصلحة العامة الذين يرومون العيش بسلام ، بل هم يعيشون على هذه الأوهام الفاتكة بحضيرة ما يساومون ويزاودون على موضوعات لا ناقة فيها لهم ولا جمل ؛ ولكن القوى الفارضة من قبل اللحظة الوجودية الحاسمة لأي نظام يريد ان يقوى على حساب الأغلبية .

ومن منظور اخر نجد "سبيلا " في محاورة له في مجلة الفيصل ، يطرق منهجاً اخراً في الصراع والقائم على العلمانية ؛ من خلال استثمارها في محاور مختلفة ؛ بعّدها قد استثمرت في مقاومة اشكال التحديث والتطور والتصور السلبي لهذه الكلمة ، من خلال مقولات العلمانية ضد الدين ، او هي الحاد ، او كفر او حرام ، وتشويه المفاهيم جعل هذه الكلمة غير مستساغة لدى الناس ، والأكثر من ذلك العلمانية الراديكالية التي تدعي ان الدين تأخر وانتمى الى مراحل تجاوزها التطور ، بينما يحيلها بعضهم الى تصور غيبي ميتافيزيقي ، وحتى تكون فاعلة نادى بوجوب ابعادها عن السلطة وحماية المجتمع من هذه المقولات ، وفي السياق ذاته هناك العلمانية العادية والتي تنادي بالفصل بين الدين والسلطة ، وليس ابعاداً كلياً بمعنى الانسلاخ عن الثقافة ، وهذا الصراع السياسي فيه الاجحاف الكبير ، فحلقة الاقتصاد تمكّن المجتمع من التطور ، ورفض الاستغلالات ، ونادى بالتدابير في الشؤون العامة التي يجب ان تكون محايدة وتأخذ من التجارب الاخرى ما ينفعها [٣٩]، لتنتج حالة جديدة تمكّن القائمين في المجتمع على تبّني حالات تنفعهم ولها اتصال بالواقع .

وهذا الامر لا يكون عند "سبيلا" الا من خلال رصد الواقع التاريخي ، والاختلاط الحاصل بين المفاصل ، وعده خلطاً مفاهيمياً وصراعاً بين التقليد والتحديث ، وهو صراع في المستويات كافة بين الفكر التقليدي والفكر الحداثوي ، على الرغم من وجود صراع في داخل الفكرين ولاسيما التقليدي و هناك رغبة في الحياة وفي التجديد والانجذاب التاريخي الى الوراء ، وتبنيها صعب مستصعب تحدث فيه استغلال للوسائل الحديثة وجرها للتقليدي ؛ بينما التقليد فيه رغبة نابضة في الحياة والاستمرار ، لذلك يفرز حالة البقاء والمقاومة لكل فكر جديد قادم ووافد ، بينما الحداثة جاءت لتهيمن على التقليد ذاته ، باستخدام تكنلوجيات فاعلة وتسخيرية ، وقطعاً ، سنجد هناك اختلاطاً واحتكاكات [٤٠]تكون بين القضيتين وهو صراع مناهج مخبوء تحت طياته الكثير من المفاصل الحياتية ، اذن هي ليست قضية قديم وحديث فقط ، بل هو فرض ارادات بين من يريد

ان يصمد وبين من يريد أن يتوغل في حقول اجتماعية قد تكون ليست من صلاحياته ، بل هي قائمة على ظهور يعتقده الحداثوي مبرر ؛ لان الحياة لا تتحمل المزيد من المجاملات .

الخاتمة وأهم النتائج :

أن مشكلة التراث والحداثة في العقل العربي من المشاكل الأكثر تعقيداً في واقعنا العربي ، ولاسيما في الفكر العربي المعاصر ؛ لان تناول هذه الإشكاليات ومن خلال شخوص تستخدم التراث كأداة فارضة هيمنتها عن طريق البيئة المعاشة والفرض التاريخي الذي نعيشه ، وهي أدوار ملتحمة مع ذواتنا ؛ لا اتصالها بالدين والجانب العقيدي والعادات والتقاليد ، وأن أي انفلات سيسبب انقطاع .

بينما تجد مقولات الحداثة جاءت بسرعة الضوء ودخلت من دون استئذان في محيطنا العربي ، متجاوزة كل الإمكانيات الشخوصية والزمانية ، طاوية كل المراحل الموجودة بمرحلة واحدة بدعوى اللحاق بالغرب ، وهذا أدى الى ازدياد حالات التخلي والقبول ووجود المعارضات المختلفة .

وحتى نكون أكثر موضوعية ، لابد ان نختبر العقل العربي في قيمة الإنتاج وإعادة الإنتاج بطرق منهجية مدروسة وليست موضوعة حتى نجاري الزمن وننتقل عندها من المحلية الى العالمية وبتكوين الحياة الاجتماعية كما يتحدث "سبيلا " لم تستسلم كاملة دون صعوبة ومقاومة ؛ لأنها كانت على مراحل ، وصادفتها عقبات في الميادين كافة حدت من تقدمها نحو الامام .

هذه العقلية المصاغة بتركيب نابع من المنهج التاريخي الاجتماعي عند "سبيلا" ينطلق أيضاً من الاعتراف أن كل فكر تاريخي مرتبط بالوضعية الاجتماعية التي يحياها المفكر داخل بيئته من خلال قراءة الواقع والابتعاد عن القراءت الملتبسة والتقليدية البعيدة عن الجو التقاني القادر على إيجاد عقلية إنتاجية وبمواصفات عالية ، يتمكن الفرد من خلالها إيجاد هذه النقلة الواضحة في حياته .

والمترتبة عليها التشظي المفاهيمي كجزء جزء حتى يحصل على الكل ، او لا يحصل على أي جزء منها ؛ لأنها تجعله في تيه وعوق فكري يمنعه عن مزاولة الإنتاج بعقلية مرنة ومستوعبة للتحديات المعاصرة وهي نتاج غربي مع ملاحظة الاسهامات الداخلة في تكوينه ، ومن هنا تتضح عندنا عدة نتائج وهي كالاتي :

١- التأكيد على الموضوعات الأخلاقية ، والنابعة من المسائل و الأدلة الحسية والقضايا المتعلقة بالجيد والرديء ومحاولة معالجتها .

٢-عرض مفاهيم العقل و الفعل ؛ وتشكل واقعة التفكير من خلال العقل ، بإحالتها الى بعد ماضوي او حداثوي بحسب الأهمية الفكرية .

٣-ان العقل العربي هو الجهاز الفعّال للخروج بالعرب سالمين ومتحدين من البلبلة الفكرية الى طريق محدد ومنهج واضح وبهدفية تبعد أصابع الاتهام .

٤- أن التعبير في الجانب العربي جاء في ذروة الصحوة العربية ومن حقائق اصالتها وكوامن قدراتها وبلغة منصوبة لاسترقاقها واذلالها ، ومحاولة إيجاد بدائل عن ذلك .

٥-أن السوابق التاريخية حددت مسافة العقل في فهمه للمنظومة الفكرية العامة ، وانتقالها من نقطة التحول الخاص الى التحول العام .

٦-، ظهور مفردة الحضارة الراهنة باختلافاتها المتحاكمة للأشباه والنظائر وبتكوين نمط استمراري بذلك .

٧-الفرد العربي عند "سبيلا" يتعلق بقسم من الحداثة ويغفل الطرف الاخر وهو النظرة الموضوعية للظواهر الحياتية مبتعداً عن الصبغة الايدلوجية الثقافية والموضوعة في الاطار التاريخي والفكري الخاص بها.

٨-ينظر "سبيلا" ان المعيار السياسي هو المصلحة بعينها لا التضامن او القرابات العرقية والقبلية ، مما افسح المجال لظهور تنظيمات سياسية جديدة .

٩-أكد " سبيلا" في الابعاد الثلاث الفعل والفاعل والمفعول ، اذ يحيل الدخول الى معالجة هذا المشكل من باب الكيان الموهم بالفاعل ، لا من باب الفعل .

١٠-تحدث "سبيلا" عن صراع المستويات من خلال رصد الواقع التاريخي ، والاختلاط الحاصل بين المفاصل وهو صراع بين التقليد والتحديث .

الهوامش :

[١] - جيمس ، وليم ، العقل والدين ، ترجمة محمود حب الله ، دار احياء الكتب العربية ، طبعة ١٩٤٩ ، ص٦ .

[٢] - م ، ن ، ص٢٤.

[٣] - رسل ، برتراند ، تحليل العقل ، ترجمة ، عبد الكريم ناصيف ، دار التكوين ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ٢٠٢٦م ص١٣-١٤ .

[٤] - م ، ن ، ص١٥.

[٥] - الطريري ، عبد الرحمن ، العقل العربي وإعادة التشكيل ، سلسلة كتاب الامة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، شوال ١٤١٣هـ ، ص٣١-٣٢.

[٦] - ص٤٤-٤٥.

[٧] - سالم ، احمد موسى ، العقل العربي ومنهج التفكير الإسلامي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م ص٢٣.

٨ – م ، ن ، ص٣٠ .
٩ – م ، ن ، ص٣٨.
١٠ – عمارة ، محمد ، المنهاج العقلي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، طبعة ١٩٩٨م ، ص٤ .
١١ – دوجلاس ، فدوى مالطي ، تقديم جابر عصفور ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ٢٠٠٩ م ، ص٧ .
١٢ – م ، ن، ص٨ .
١٣ – الجابري ، محمد عابد ، التراث والحداثة ، دراسات ومناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩١م ، ص١٠–١١.
١٤ – م ، ن، ص ١٦ .
١٥ – شفيق ، منير ، في الحداثة والخطاب الحداثي ، المركز الثقافي العربي ، الدرا البيضاء ، المغرب ، ص١١–١٢.
١٦ – م ، ن ، ص١٥ .
١٧ – تورين ، الان ، نقد الحداثة ، ترجمة ، أنور ، مغيث ، المشروع القومي للترجمة ، طبعة ١٩٩٧م ، ص١٦ .
١٨ – م ، ن ، ص١٩ .
١٩ – سبيلا ، محمد واخرون ، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الانسانسة والفلسفة ، المركز العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية ، الرباط ، المغرب ، الطبعة الأولى ٢٠١٧م ، ص٥–٦.
٢٠ – سبيلا ، محمد ، واخرون ، مابعد الحداثة ، دار توبقال للنشر ، الرباط ، المغرب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م ، ص٢٠ .
٢١ – م ، ن ، ص٢٤.
٢٢ – سبيلا ، محمد ، دفاعا عن العقل والحداثة ، منشورات الزمن ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص٧ .
٢٣ – م ، ن ، ص٢٢.
٢٤ – سبيلا ، محمد ، واخرون ، الايدلوجيا ، دار توبقال للنشر ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م ، ص١١
٢٥ – م ، ن، ص١٢ .
٢٦ – سبيلا ، محمد ، مدارات الحداثة ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .
٢٧ – م ، ن ، ص١٢٦.
٢٨ – م ، ن، ص١٢٨.
٢٩ – عناية ، عز الدين ، العقل الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠١١م ، ص٥ .
٣٠ – سبيلا ، محمد ، الحداثة ومابعد الحداثة ، مركز دراسات فلسفة الدين ، العراق ، بغداد ، طبعة ٢٠٠٥م ، ص٧٣.
٣١ – م ، ن، ص٧٥.
٣٢ – سبيلا ،محمد ، دفاعا عن العقل ، ص١٣٨.
٣٣ – م ، ن، ص١٣٩.
٣٤– سبيلا ، محمد ، واخرون ، التفكير الفلسفي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨ م ، ص٢٠ .
٣٥ – م ، ن، ص٧٥.
٣٦ – سبيلا ، محمد ، للسياسة بالسياسة في التشريح السياسي ، دار افريقيا الشرق ، طبعة ٢٠١٨م .
٣٧ – سبيلا ، محمد ، للسياسة بالسياسة في التشريح السياسي ، دار افريقيا الشرق ، طبعة ٢٠١٨م .

[38] – مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، مقال بعنوان " المسألة الدينية بين الفكر التقليدي والفكر الحديث " بقلم : محمد سبيلا ، ٢٢ ديسمبر ٢٠١٤م .
[39] مجلة الفيصل ، مقال بعنوان : " محمد سبيلا : نعيش خسوف المثقف العضوي ، والارهابي المعاصر ليس غبيا " ، للكاتبة فاطمة عاشور ، ١ مارس ٢٠١٨ م . –
[40] – مجلة الفيصل ، مقال بعنوان : " محمد سبيلا : نعيش خسوف المثقف العضوي ، والارهابي المعاصر ليس غبيا " ، للكاتبة فاطمة عاشور ، ١ مارس ٢٠١٨ م . –

قائمة المصادر :

١–الجابري ، محمد عابد ، التراث والحداثة ، دراسات ومناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
٢–الطريري ، عبد الرحمن ، العقل العربي وإعادة التشكيل ، سلسلة كتاب الامة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، شوال ١٤١٣هـ.
٣–تورين ، الان ، نقد الحداثة ، ترجمة ، أنور ، مغيث ، المشروع القومي للترجمة ، طبعة ١٩٩٧م.
٤–جيمس ، وليم ، العقل والدين ، ترجمة محمود حب الله ، دار احياء الكتب العربية ، طبعة ١٩٤٩ .
٥– سالم ، احمد موسى ، العقل العربي ومنهج التفكير الإسلامي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م .
٦–سبيلا ، محمد ، دفاعا عن العقل والحداثة ، منشورات الزمن ، الدار البيضاء ، المغرب.
٧–سبيلا ، محمد ، مدارات الحداثة ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
٨–سبيلا ، محمد ، الحداثة ومابعد الحداثة ، مركز دراسات فلسفة الدين ، العراق ، بغداد ، طبعة ٢٠٠٥م.
٩–سبيلا ، محمد ، للسياسة بالسياسة في التشريح السياسي ، دار افريقيا الشرق ، طبعة ٢٠١٨م .
١٠–سبيلا ، محمد واخرون ، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الانسانسة والفلسفة ، المركز العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية ، الرباط ، المغرب ، الطبعة الأولى ٢٠١٧م .
١١–سبيلا ، محمد ، واخرون ، مابعد الحداثة ، دار توبقال للنشر ، الرباط ، المغرب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
١٢–سبيلا ، محمد ، واخرون ، الايدلوجيا ، دار توبقال للنشر ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.
١٣–سبيلا ، محمد ، واخرون ، التفكير الفلسفي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨ م.
١٤–شفيق ، منير ، في الحداثة والخطاب الحداثي ، المركز الثقافي العربي ، الدرا البيضاء ، المغرب. .
١٥–عمارة ، محمد ، المنهاج العقلي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، طبعة ١٩٩٨م.
١٦–عناية ، عز الدين ، العقل الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠١١م .
١٧–دوجلاس ، فدوى مالطي ، تقديم جابر عصفور ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ٢٠٠٩ م
١٨–رسل ، برتراند ، تحليل العقل ، ترجمة ، عبد الكريم ناصيف ، دار التكوين ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ٢٠٢٦م.

المجلات والمواقع :

١٩–مجلة الفيصل ، مقال بعنوان : " محمد سبيلا : نعيش خسوف المثقف العضوي ، والارهابي المعاصر ليس غبيا " ، للكاتبة فاطمة عاشور ، ١ مارس ٢٠١٨ م .
20-مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، مقال بعنوان " المسألة الدينية بين الفكر التقليدي والفكر الحديث " بقلم : محمد سبيلا ، ٢٢ ديسمبر ٢٠١٤م .

List of sources:
-1- Al-Jabri, Muhammad Abed, Heritage and Modernity, Studies and Discussions, Center for Arab Unity Studies, Beirut, Lebanon, first edition 1991 AD.
2- Al-Tariri, Abdul Rahman, The Arab Mind and the Reformation, Book of the Nation Series, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Qatar, Shawwal 1413 AH. -- -٣3- Touraine, Alain, Criticism of Modernity, translated by Anwar, Mugheeth, The National Translation Project, 1997 edition.
4- James, William, Reason and Religion, translated by Mahmoud Hoballah, Dar Revival of Arabic Books, 1949 edition.
-5-Salem, Ahmed Musa, The Arab Mind and the Method of Islamic Thinking, Dar Al-Wafa for the World of Printing and Publishing, first edition 2014 AD.
6- Sabila, Muhammad, In Defense of Reason and Modernity, Al-Zaman Publications, Casablanca, Morocco.
7- Sabila, Muhammad, Orbits of Modernity, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, Lebanon, first edition 2009 AD.
8- Sabila, Muhammad, Modernity and Postmodernism, Center for Studies in the Philosophy of Religion, Iraq, Baghdad, 2005 edition.
Sabila, Muhammad, Politics by Politics in Political Anatomy, East Africa House, 2018 edition. 9-

10-Sabila, Muhammad and others, Encyclopedia of Basic Concepts in the Human Sciences and Philosophy, Arab Center for Human Research and Studies, Rabat, Morocco, first edition 2017, pp.
-11- Sabila, Muhammad, and others, Postmodernism, Toubkal Publishing House, Rabat, Morocco, first edition 2007 AD,
Sabila, Muhammad, and others, Ideology, Toubkal Publishing House, second edition, 2006 AD. 12- ١
13-Sabila, Muhammad, and others, Philosophical Thinking, Toubkal Publishing House, Casablanca, Morocco, third edition 2008 AD.
-14- Shafik, Mounir, on modernity and modernist discourse, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco.
15-- Amara, Muhammad, The Mental Curriculum, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, Egypt, 1998 edition.
Enaya, Ezz El-Din, The Islamic Mind, Dar Al-Tali'ah, Beirut, Lebanon, first edition 2011 AD, 16-
-17- Douglas, Fadwa Malti, presented by Jaber Asfour, National Center for Translation, Cairo, Egypt, second edition 2009 AD.
18- Russell, Bertrand, Analysis of the Mind, translation, Abdul Karim Nassif, Dar Al-Takween, Damascus, Syria, first edition 2026 AD.
Magazines and websites:
19- Al-Faisal Magazine, an article entitled: "Muhammad Sabila: We are living the eclipse of the organic intellectual, and the contemporary terrorist is not stupid," by writer Fatima Ashour, March 1, 2018 AD.
20- Believers Without Borders Foundation, article entitled "The Religious Issue between Traditional Thought and Modern Thought," written by: Muhammad Sabila, December 22, 2014 AD.